اغلاط المولدين

(تابع لما قبل)

وقال ابن معتوق

وبَنُوا الحجالَ على الشموس فوكلوا شهب السهاد برجم زوّار البنا

فقولهُ وبنوا الحجال مقتضى الوزن ان يكون بضم النون وصوابهُ بفتحها مع ضمّ الواو كما هو مقرَّر في موضعهِ . ومثلهُ قول الحاجريّ

أَبقُوا الأسى لي بعدهم مطعماً والدمعَ حتى نلتقي مشربا

وقول عبد الرحمن بن النقيب

ليت شعري اين استقلَّ بنو بر مكَ من بعد ما تولُّوا الوزارَه

والامثلة من هذا كثيرة : وقال ابن هاني

أُهدي السلام الى الكؤوس فطالما حَثَّيتها صِرفاً الى النـدمآءِ

اراد حَثَثْتَها فابقى الادغام وفصل بين الفعل والضمير بيآء وهو من استعمالات العامّة ولعل هذا الاصطلاح سرى اليهم من العبرية فان المضاعف في هذه اللغة يُفصَل بينهُ وبين الضمير الصحيح بواو ممالة يقولون. من رَصَّ مثلاً اي رَضَّ رَصَّوتي رَصَّوتم اي رَضَضْتُ رَضَضْتُم وهلمَّ جرًّا (١) . ومن

(١) واغرب من هذا انك تجد اهل القطر المصري عامّةً يقدّمون تآء افتعل على فآئهِ فيقولون في امتلا مثلاً اتملا وفي اجتمعوا اتجمعوا وهذا عن السريانية . وهم يستعملون هذه الصيغة مكان انفعل ايضاً فيقولون في انكسر وانفلق اتكسر واتفلق وفي هذا متابعةٌ للسريان ايضاً لان صيغة انفعل لا وجود لها عندهم . قلنا وقد كان هذا اولى بان يكون في لغة السوريين لا في لغة المصريين لان السريان لم يكونوا في مصر قط فوصول هذه الصيغة الى لغتهم من العجب بمكان

هذا قول ابن النقيب

وكلما حلّيتَ في منزل　　قابلك الاقبال والجدُّ

وقول ابن حجة الحموي صاحب الخزانة

ولرقّة فيكم اظنّ بانكم　　حنّيتمُ طربا لرجع حنيني

وقولهُ اظنّ بانكم من زيادة البآء قبل أنْ وأنَّ المصدريتين على ما تقدم الكلام عليهِ في لغة الجرائد وهو كثيرٌ في كلام المولدين وقد مرّ من امثلتهِ هناك ما يغني عن الاسهاب في هذا الموضع . وقال ابو القاسم بن ابي العلآء يذكر فرساً

أقبُّ يروق العين حسناً ومنظراً　　ويرجعها يوم الحضار كليلا

فجآء بقولهِ كليلا مجرداً من التآء لذهاب وهمهِ الى انهُ من قبيل قتيل وجريح اي من باب فعيل بمعنى المفعول وانما هو صفة مشبّهة من قولهم كلَّ بصرهُ اذا عجز عن تحقيق المنظورات فهو كليل وعينٌ كليلة . وقال عبد الصمد بن الصفّار

وشقائقٌ شقَّ القلوب كانهُ　　خدٌّ مليحٌ ضمَّ صدغاً اسودا

فذكّر الضمير العائد الى الشقائق على توهم انهُ اسم جنس وانما هو جمع شقيقة واسم الجنس شقيق . وعكسهُ قول المقّري

امسى بقبر مفرداً　　والتُرْبُ قد جمعت عظامَهْ

فأنّث الضمير العائد الى التُرْب لظنّهِ انهُ جمع وانما هو مفرد كالتراب .

وقال الشريف الرضي

فليهُوِنِ المرءُ بايامهِ　　ان مقام المرء فيها قليل

اراد فليستهن المرء بايامهِ فعبّر بيهْوِن ورفع المرء بعدهُ فاعلاً وجرّ ما يليهِ بالبآء على انهُ مفعول بهِ غير صريح وكل ذلك خطأٌ لان هذه الصيغة مخصوصة بباب التعجب تقول أَهوِن بهذا الامر وما أهوَنَهُ بتصحيح العين فيها ولا تقول أَهوَنتُ بهِ لان هذا الفعل لا يتصرف

وقد أطلنا في هذا الفصل الى ما لعلهُ ادّى الى ملل المطالع فنمسك عنان القلم عند هذا القدر اذ ليس من غرضنا استقصآء كل ما ورد من هذا القبيل وانما القصد مما اوردناهُ تنبيه المطالع الى وجوب التثبُّت عند النقل عن المولدين وأنهم لم يكونوا ابعد من اهل هذا العصر عن الخطأ واللحن وان تقدم زمانهم . بل قد عُلِم مما سبق ان الذي جآء حتى في الصدر الاول للاسلام لم يكن ابصر بقوانين اللغة وضوابطها من الذي جآء بعد عشرة قرون لان ملكة اللسان العربي كانت قد فسدت من ذلك الحين واصبحت اللغة لا تُتَناول الا من بين الواح المصاحف ولا تُملَك الا بادمان الدرس والحفظ . ولا يخفى ان الكتب لذلك العهد كانت عزيزة المنال لا تكاد توجد الا في خزائن بعض الكبرآء والموسرين لانها كانت تُنسَخ بخط القلم وتباع باثمانٍ باهظة ولذلك كان اكثرهم يعتمد في اثبات اللغة على محفوظهِ مما يمرّ بسمعهِ الحين بعد الحين . وانت تعلم ان اكثر المحفوظ انما كان من الشعر لعنايتهم بهِ وسهولة استظهارهِ فضلاً عن انهُ كان هو الصناعة الوحيدة الباقية بعد السَلَف الاول يتخذها الادبآء حرفة يستعينون بها على ما نزل بهم من حرفة الادب . . . وقد اسلفنا ان الشعر هو المزلّة الكبرى للكتاب والشعرآء لكثرة ما يعرض فيهِ من الضرورات القاضية على الشاعر بالعدول

عن الوجوه المُثلَى فضلاً عن انهُ ليس من شرط النظم الاضطلاع بضوابط اللغة والوقوف على اسرارها لانهُ امرٌ يتعلق بالسجية ويؤدّى بالفصيح والركيك فكانت كل غلطةٍ تصدر من الشاعر عن ضرورة كانت ام جهل يتلقاها غيرهُ بدون نكير ويزيد عليها ما شآء مبلغ علمهِ ومقدرتهِ على مزاولة القوالب اللفظية . وهذا هو السبب فيما نرى من شيوع الغلط وانتشارهِ بين الشعرآء والمنشئين عصراً بعد عصر حتى انتهى الى الحدّ الذي وقفت على نموذجهِ في هذه المقالة

واين ما ذُكر مما نحن عليهِ في هذا العصر عصر الطباعة من توفر الكتب بين ايدينا والحصول على اعظمها حجماً بالثمن التافه فنحن اليوم ولا ريب اقدر على اعطآء اللغة حقها من التمحيص بالوقوف على حقائقها المودعة في بطون الاسفار والرجوع الى صحيح النقل عن العرب الاولين ولولا ذلك لم يكن لنا ان نطالب احداً بالتزام الصحّة في لفظهِ والوقوف عند ما نصّ عليهِ علمآء اللغة وأثباتها ولا ان نضنّ على كتّابنا بالعذر الذي كنا نتحلهُ لمن تقدم ذكرهُ من اهل العصور السوالف

ومع ما نبهنا عليهِ من اغلاط اولئك الادبآء فنحن نبرأ الى المطالع من ان يكون في قصدنا الازرآء بأحدٍ منهم او ان نعدّ ما اخذناهُ عليهم من الهفوات نقيصةً فيهم أو مثلبة تقدح فيما اشتهر من فضلهم والا فنحن كما قال بعض رصفآئنا الادبآء لا نسلم من مثل ما اخذناهُ على سوانا وهو قولٌ حريٌّ بأن يكون صحيحاً لاننا لم نتلقَّ اللغة الا مما نقرأهُ في الكتب أو نسمعهُ من الالسنة فلا غرو ان نُستدرَج بمثل ما استدرِج بهِ اولئك الاعلام . وقد وقع

لنا من ذلك اشيآء نذكر ما يحضرنا منهـا في هذا الموضع حتى لا يقلدنا فيها من اعارنا ثقتهُ ولا يطمئنّ الا الى ما وقف على ثبَتهِ من مواضعهِ

فمن ذلك ما ورد لنا في قصيدةٍ نظمناها سنة ١٨٦٨ تهنئةً للمرحوم نصر الله فرنكو باشا عند توليتهِ متصرفية جبل لبنان قلنا في مطلعها

نسائمَ نجدٍ هل تحمّلتِ من نجدِ اليَّ سوى حرّ الصبابة والوجدِ

ولفظة النسائم هنا من المشكلات فان النسَمة لا تُجمَع على نسائم ولا يصحّ ان تكون جمعاً للنسيم لان فعيلاً لا يُجمَع على فعائل وان ورد من ذلك الفاظٌ شاذّة كأصائل وأفائل في جمع أَصيل وأَفيل ولكن الشاذ لا يقاس عليهِ . وانما جرّنا الى استعمال هذه اللفظة انّا قرأناها في كلام غير واحدٍ من اكابر الشعرآء فاسترسلنا الى استعمالها من غير بحث وذلك كقول الشيخ عبد الغني النابلسي

احنُّ لوَمْض البرق من جهة الحمى وأشتاق ان هبَّت عليَّ النسائمُ

ومثلهُ قول القاضي ابي الحسن عليّ بن النبيه

واستطـابت رَيّا نسائم بغـدا دَ فكادت لولا البُرَى ان تطيرا

وورد لنا في موضعٍ آخر من مرثية

حدَثٌ دونهُ العلَى مُطرِقاتٌ جانبَ المجد والمكارمُ جَفْلى

ولفظة جَفْلَى غريبةٌ في الاستعمال لانها اما ان تكون مؤنث جَفْلان مثل سكران وسَكْرَى او جمع جفيل مثل جريح وجَرْحَى وكلاهما لم يرد في كتب اللغة ولا وجه لبنآئهِ من هذا الحرف . ولكن هذه اللفظة مرّت بنا في ديوان لبعض المعاصرين ممن لا نذكر اسمهُ فقلّدناهُ فيها والقصيدة

مما نظمناهُ في ايام الحداثة اي في نحو التاريخ المذكور قبل

وانشدنا في احدى الجمعيات العلمية سنة ١٨٦٧ قصيدةً مطلعها

* سلامٌ ايها العرب الكرامُ * جآء فيها

اذا قُطِعت غصون الدوح يوماً فلا تيأس اذا بقي الحُطامُ

واردنا بالحطام ما يبقى من الشجرة بعد قطع الغصون وهو الساق او الجِذم والصحيح ان الحطام كل ما تحطّم من شيء فهو على الغصون اصدق وحينئذٍ فالبيت لا معنى لهُ . وهذه لك ان تحملها على انّا رأينا مرةً هذه اللفظة مستعملةً بهذا المعنى أو على اننا توهمنا انها تُستعمَل كذلك

وورد لنا من قصيدةٍ اخرى

على مثل ما تشكو الحياةُ وانما ارى جزَع المُبلى بليّتهُ الأُخرَى

والذي في كتب اللغة يقال بلاهُ بكذا وابتلاهُ بهِ ولا يقال أبلاهُ انما هذا من معنى بلى الثوب ونحوهِ . قال ابو تمام

يا لابساً ثوب الملاحة أَبلِهِ فلأنتَ اولى لابسيهِ بلبسهِ

وانما كان استعمالنا هذه اللفظة باستدارج اللغة العاميّة لان العامّة لا تفرق بين بأبي فَعَل وأفعل على ما قدّمنا في هذا الفصل واوردنا من امثلتهِ في كلام الشعرآء

ووقع لنا اشياء من ذلك في تعريب الاسفار المقدسة المطبوعة بالتزام الاباء اليسوعيين في بيروت منها ما ذكرناهُ في مجلد السنة الماضية (ص٦٢٦) ومنها ما وقع في تعريب سفر الخروج (ف ١٧ : ١١) وقد جآء في هذا الموضع ما صورتهُ « فكان موسى اذا رفع يدهُ يستظهر بنو اسرائيل

واذا حطَّها تغلب العمالقة » . فلفظ يستظهر هنا خطأٌ لان الكلمة العبرانية بمعنى يغلب وهي عين اللفظة التي في الجملة التاليـة وانما الاستظهار بمعنى الاستعانة لا بمعنى الغلبة فكان الصواب ان يقال هناك «يغلب بنو اسرائيل» او اذا اريد تغيير اللفظ اجتناباً للتكرار ان يقال « يَظهَر » . قال في لسان العرب « استظهرهُ عليهِ استعانهُ واستظهر عليهِ بالامر استعان » وقال بعد ذلك « ابن سيده * الظهور الظفر ظهر عليهِ يظهر ظهوراً وأَظهرهُ الله عليهِ وظهرتُ على الرجل غلبتهُ » . اه . وهذه ايضاً مما كتبنا بهِ الى قيّم المطبعة نكلفهُ تصحيحهُ على ما تقدم ذكر ذلك في الموضع المشار اليهِ

(ستأتي البقية)

زُحَل

هو اله الزمن والتقادير والزراعة عند القـدمآء وقد طالما عبدوهُ وشادوا لهُ الهياكل الفخيمة واقاموا لهُ الاحتفالات والاعيـاد التي كانوا يتقاطرون لحضورها من جميع الاطراف . وكان المنجمون يعدونهُ من كواكب النحس وادلّة المصائب والاحزان لما رأوا من كمدة لونهِ وبطء حركتهِ في القبة الزرقآء ولا يزال هذا الاعتقاد مستولياً على بعض الافكار الضعيفة الى يومنا هذا

وهو السيار السادس من السيارة الدائرة حول الشمس يكتنفهُ المشتري من جهة الشمس واورانوس من جهة الفضآء غير انهُ قبل اكتشاف هذا الاخير اي من نحو ١٢٥ سنة كان يُعَدّ آخر السيارة الدائرة حول الشمس